المفاضلة بين لغات القبائل فى دراسة النحاة

كتب ابن جنى فى الخصائص تحت عنوان (اختلاف اللغات وكلها حجة) قائلا : ليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها ، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها ، وقد نقل السيوطى هذا المعنى نفسه فى « الاقتراح » بما يكاد يتفق معه فى الألفاظ ، وأضاف بعض عبارات من عنده تفيد التفريع على المعنى العام السابق ، مثل « كل ما كان لغة لقبيلة ، قيس عليه » و « الناطق على لسان لغة من اللغات مصيب غير مخطىء »

والمقصود باللغات التى نسب لها الاختلاف هنا لغات القبائل التى رأى النحاة قبولها والأخذ عنها ، وهم — كما سبق فى نص الفارابى — قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، فعنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل فى الغريب والإعراب والتصريف .

فلغات هذه القبائل وفروعها هى موضوع هذه الفقرة من حيث الاستحسان والاستهجان ، أما القبول العام لها فمن الواضح فى النصوص السابقة أن العلماء قد أثبتوا حجيتها بصورة عامة ، فمن نطق على ألسنتها أو قاس عليها فهو مصيب غير مخطىء ، فلكل لغة منها على حدة احترامها فليس لأحد رد إحدى اللغتين بالأخرى ، لأنهـــا ليست أولى بذلك من رسيلتها .

فهذا الموقف العام لا شأن لنا به هنا ، فقد تقدم الرأى فيه ، لأن موضوع هذه الفقرة هو عدم تسويتهم بين مراتب قبول هذه اللغات ، فهم يستحسنون بعضها ويستقبحون البعض الآخر ، ويصفون بعضها بالعلو والسمو أو الفصاحة أو الأقوى فصاحة ، كما يصفون بعضها الآخر بالقبح